



نموذج فريد للمرأة المسلمة المعاصرة

الدكتورة بنت الشاطن

بالمجستير وحصلت عليه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤١م، وواصلت نجاحاتها بحصولها على الدكتوراه في عام ١٩٥٠م، بدراستها المهمة عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، حيث أثبتت في هذه الرسالة كفاءتها العلمية واستعرضت علمها الواسع بتراث الأدب العربي بنماذج الأصيلية، وقد أشرف على رسالتها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، الذي أشاد بعلمها الحاد في البحث، وعبر مسيرة بنت الشاطن العلمية، فقد عملت بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٢م، وأستاذة بمعهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية، وأستاذة بمركز تحقيق التراث بدار الكتب القومية بالقاهرة عام ١٩٦٨م، كما كان لها حضورها العلمي عربياً، حيث عملت أستاذة للتفسير في جامعة القرويين بالمغرب عام ١٩٧٠م، وأستاذة زائرة في جامعة أم درمان الخرطوم بالسودان، وجامعة الجزائر، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، وكلية البنات بالرياض، ولم يقتصر هذا الجهد العلمي على المجال

ولدت الدكتورة عائشة محمد علي عبدالرحمن (بنت الشاطن) بمحافظة دمياط في ٦ نوفمبر عام ١٩١٢م، ونشأت في بيت محب للمعلم والدين، فهي ابنة لعالم أهري، فقد كان والدها مدرساً بالمعهد الديني بدمياط، كما كان جدها لأمها شيخاً بالأزهر، حفظت القرآن الكريم في سن السادسة في كتاب القرية، ثم ألقت ابن مالك، وفي عام ١٩٢٩م، حصلت على شهادة كفاية التعليم الأولي للمعلمين والمعلمات، وكانت الأولى على مستوى القطر المصري، ثم حصلت على درجة الليسانس الممتازة في اللغة العربية عام ١٩٢٩م، وخلال هذه الفترة تواصلت مع الصحافة، حيث كانت تشر قصائدها ومقالاتها بمجلة النهضة النسائية، بعدها بعامين بدأت الكتابة في جريدة الأهرام، فكانت ثاني امرأة تكتب بها بعد الأدبية مي زيادة، وكانت في تلك الفترة تكتب مقالاتها باسم مستعار، فاختارت لقب بنت الشاطن، الذي ينتمي إلى حياتها الأولى على شواطئ دمياط التي ولدت بها، بعد انتهاء مرحلة التعليم الجامعي، سجلت دراستها

لم تكن الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطن) مجرد باحثة وأستاذة جامعية فحسب، بل هي نموذج فريد للمرأة العربية المسلمة، التي قدمت إسهامات ثرية ومتميزة في مجال الثقافة العربية والإسلامية، حيث تعتبر مسيرتها العلمية والعملية كفتاة وطالبة وعالمة ومفكرة وزوجة وأم، مادة ثرية وزائدة لتربية الأجيال الجديدة التي تمتاز بإسلامها، ومن يتعرف على سيرتها يدرك دورها الإيجابي والتنويري في مجتمعنا العربي، في زمن لم يكن التعليم سهلاً وميسوراً للفتاة، فواجهت صعوبات كثيرة، وواجهت مشكلات وعقبات عديدة في سبيل تحقيق غايتها في التعليم الذي كانت تطمح في الحصول عليه، فأتاحت الطريق أمام المرأة العربية للخروج من البيت إلى الجامعة ثم إلى المجتمع الواسع، حتى جاوزت شهرتها أقطارنا العربية، وكانت كتاباتها موضوعاً لدراسات غربية ورسائل جامعية في الغرب، بل وفي أوزبكستان واليابان.

رحلتها في تحصيل العلم

الجامعي فقط بل امتد إلى العديد من المؤسسات والهيئات الثقافية، التي شرفت بعضويتها مثل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والمجلس الأعلى للثقافة، والمجالس القومية المتخصصة، وقد بلغت مؤلفاتها في إثراء الثقافة العربية والفكر الإسلامي أربعين كتاباً، نذكر منها: التفسير البياني للقرآن الكريم، القرآن وقضايا الإنسان، تراجم سيدات النبوة، الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري، لغتنا والحياة، تراثنا بين الماضي والحاضر، القرآن وقضية الحرية الشخصية، مقدمة في المنهج، قيم جديدة للأدب العربي، الخنساء الشاعرة العربية الأولى، لقاء مع التاريخ، تحقيق رسالة الصاهل والشاحح للمعري وغيرها من المؤلفات الأخرى.

شخصيتها العلمية

تميزت بنت الشاطن عبر مسيرتها العلمية بجمعها النادر بين الدراسة العميقة لعلوم الإنسان وعلوم العربية وتحقيق التراث وتوثيقه، حيث سخرت قلمها للعديد من القضايا الفكرية والثقافية المهمة ومن أهم هذه القضايا.

التراث العربي

كان تحقيقها للنصوص نموذجاً فريداً في خدمة النص وتديل ما فيه من غلطات وتقريبه إلى القارئ والباحث، بتوضيح ما فيه من غموض وتصحيح ما اعتراه من تصحيف أو تحريف، ومن أبرز ما قامت به في ذلك المجال تحقيق رسالة الغصن للمعري، وكتابة دراسة شاملة حولها، هذا إلى جانب دراساتها الأدبية والفكرية

الأخرى التي حملت روح التجديد، كما في كتابها المهم «تراثنا بين ماضٍ وحاضر»، الذي دعت فيه إلى النظر للتراث نظرة جديدة تمنحه روح الحياة وتبض العصر تستوعب من خلالها الماضي والحاضر المستقبل، وتقوم هذه النظرة على أساس الموازنة بين التراث والتجديد، فلا يعني الاهتمام بالتراث القديم، إهمال متطلبات التجديد في العصر الحديث، كما لا يعني التجديد إنكار التراث القديم الذي يمثل الذات العربية والشخصية القومية، ودعت أيضاً إلى ضرورة تضافر الجهود بين معهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية والمجمع العربية، ودور الكتب الكبرى، ودور النشر من أجل إحياء التراث ونشر كوز، وهاء بحق الأمة في أن تستضيء بتراثها لتستكمل وعي ذاتها وفهم تاريخها ومعرفة موقع خطاها من ماضٍ إلى حاضر.

اللغة العربية والقرآن الكريم

ومن القضايا التي خاضت غمارها بقوة قضية اللغة العربية والقرآن الكريم، حيث برعت في إبراز دور اللغة العربية والفوس في أسرارها وتقصي بحورها عن طريق كتابها الشهير «التفسير البياني للقرآن الكريم»، الذي تناولت فيه تفسير السور القصار من القرآن الكريم، وذلك من وجهة نظر خاصة، حيث فسرت ألقاب القرآن الكريم من الناحية اللغوية، فعملت على لمس الدلالات اللغوية الأصلية في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، التي زاوجت من خلالها بين العقل والنقل في نقلها البياني، فأثبتت ما نقله الأقدمون من تفسير مع ما يتفق والمنطق العقلي في قبول هذا التفسير،

واستطاعت بهذه الخطوة التجديد في تناول، موجدة بذلك منهجاً جديداً ساهم في البناء الفكري للحضارة الإسلامية، ومدافعة من خلال هذا المنهج عن اللغة العربية في عصر اعتبرت فيه هذه اللغة قاصرة عن إيجاد مصطلحات وافية في مختلف جوانب التقنية العلمية التي وصلت إليها البشرية في عصرنا الحديث، كما درست البيان القرآني والإعجاز القرآني مبينة ما يتميز به أسلوب القرآن الكريم بين فصاحة عربية تعد مثلاً رفيعاً لجمال أسلوب اللغة العربية وأثره في النفس في كتابها من أسرار العربية في البيان القرآني، وأوضحت في هذا الكتاب أثر دراسة البيان القرآني في معرفة أسرار اللغة العربية في قراءة منهجية ودقيقة لدراسة الحرف واللفظ القرآني في المصحف كله لتبين سياقه الخاص في الآية والسورة، وسياقه العام في القرآن كله، وتقول بنت الشاطن عن اللغة العربية: «إن إصلاح اللغة العربية ضرورة، والتمسك بها أساس حياة، وحين تمتحن أمة بسرقة لسانها تضيع بمسح شخصيتها القومية، وتشر عن ماضيها وتراثها وتاريخها، ثم تظل محكوماً عليها بأن تبقى أبداً تحت الوصاية الفكرية والوجدانية للمستعمر، حتى بعد أن يجلو عن أراضيها».

قضايا المرأة المسلمة

كاثت الدكتورة بنت الشاطن صاحبة نظر عميق في قضايا المرأة المسلمة، وموقف الإسلام منها، ومن أقولها في ذلك «طوقت في الأفاق لأسال عما أعطاني الإسلام، وتأكدت أن الإسلام

أعطاني ما لو ظلت أكدح إليه العمر كله ما بلغت واحتاج لإعادة النظر في قضية المرأة والإسلام، وأخشى أن تكون الحركة النسائية المعاصرة أوقعت النساء في خصومة مع الرجل، مع أن ما بيننا وبينهم ليس تناهسا أو سباقا، لكننا زفاق رحلة عمر لا نستغني عنهم، ولا يستغنون عنا. وقد ترجمت بنت الشاطن هذا الرأي عمليا، فقد كانت من الداعين لتشجيع المرأة المسلمة للإسهام في خدمة المجتمع من دون الإخلال بالوظائف والواجبات الأسرية. وتعظيم دور البيت، فالمرأة المتفرغة للأومة تقوم بعمل كبير لا يجوز التقليل من شأنه أبدا، ودعت إلى ضرورة بناء علاقة ثقافية تفاعلية متبادلة بين الزوجين، فقد عاشت مع زوجها الشيخ أمين الخولي في انسجام ثقافي لتقول لبنات جنسها إن الزواج سكن روحي وجسدي وثقافي، كما أثرت المكتبة العربية الإسلامية بموسوعتها المامة «سيدات بيت النبوة»، التي بدأتها بـ «أمّة أم النبي، نساء النبي، بنات النبي»، السيدة زينب، ثم الكتاب الخامس عن السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليها السلام، بهدف إعلام المرأة الجديدة بكيفية مشاركة المرأة في بيت النبوة في صنع تاريخنا وبأثرهن في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومكانتهن العظيمة عنده، لتضرب بهذا المثل والقُدوة للمرأة كما يجب أن تكون، فقد رأت بنت الشاطن في سيدات بيت النبوة مثلا للمرأة النقية الصالحة، التي تعد أساسا قويا للأسرة والمجتمع، حيث لقيت هذه الكتب الخمسة شهرة واسعة في أرجاء العالم الإسلامي، وترجمت إلى اللغات الفارسية والأوردية والإندونيسية

واليابانية، وتسببت في دخول نساء غير مسلمات إلى الإسلام، كان في مقدمتهن المستشرقة اليابانية كوماسو بعد اطلاعها على هذه السلسلة التي ترجمتها إلى اليابانية، حيث قدمت المثل الرائع لصورة المرأة من الناحية الإنسانية والحضارية، إلى جانب الناحية الدينية، فقدمت بذلك خدمة عظيمة للإسلام وصححت الصورة المشوهة التي أخذها الغرب عن المرأة العربية، إذ تصوروا أنها مهضومة الحقوق، لا تحصل على حريتها، ولا تشارك في أنشطة مجتمعا، وتعيش حبيسة البيت بلا تعليم أو عمل. كما كتبت أبحاثا كثيرة حول المرأة العربية في عصرنا الحاضر مثل كتاب «المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية»، الذي عرضت خلاله قضايا المرأة على نحو أعطانا نظرية متكاملة، تعالج قضايا المرأة في الحاضر وارتباطها بالماضي وتطلعها للمستقبل، ودعت إلى ضرورة تعليم المرأة، وسعت إلى كل مجال يؤدي إلى النهوض بالمرأة، وكان موقفها من قضية المرأة وما كثره وما أوصت به دافعا لكثير ممن كتبوا عن المرأة في الإسلام، أو المرأة في القرآن الكريم، ما جعل المكتبة الإسلامية اليوم عامرة، يمثل هذه المؤلفات المهمة.

أوسمة وجوائز

وتقديرًا لدور بنت الشاطن الكبير في إثراء الثقافة العربية والفكر الإسلامي، حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة، من أهمها جائزتان من مجمع اللغة العربية: الأولى في تحقيق النصوص عام ١٩٥٠م، والثانية في القصة القصيرة عام ١٩٥٢م، كما حصلت على الجائزة الأولى في

الدراسات الاجتماعية عام ١٩٥٦م، وعلى وسام الكفاءة الفكرية من ملك المغرب عام ١٩٦٧م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٧٣م، وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٨م، وجائزة الآداب بالكويت عام ١٩٨٨م، وجائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٩٤م، حيث تعد أول سيدة عربية تحصل على هذه الجائزة، كما كانت أول امرأة تحاضر في الأزهر الشريف، وتعد أيضا الكاتبة التي لم تقطع صلتها بجريدة الأهرام المصرية على مدى أكثر من ستين عاما، ولعلها أطول مدة واطلقت فيها كاتبة على النشر في صحيفة يومية في عالمنا العربي، حيث كان آخر مقال نشرته بجريدة الأهرام يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٨م، أي قبل وفاتها بأيام قليلة، حيث فاضت روحها في الأول من ديسمبر من العام نفسه، بعد حياة حافلة بالعمل في مجال الثقافة العربية والفكر الإسلامي.

مصادر المقال

- ١ - بنت الشاطن، عائشة عبدالرحمن، عوض علي الفباري، الناشر: المجلس القومي للشباب، السلسلة الثقافية للطلّاع، العدد ٢٨ مارس ٢٠٠٧م.
- ٢ - د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطن)، أحمد محمد علي، مركز خطوة للدراسات والتوثيق.
- ٣ - عائشة عبدالرحمن، نموذج لأعلام النساء المسلمات، د. محمد أحمد عبدالهادي، جريدة الشرق القطرية.
- ٤ - عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطن)، عماد عبدالراضي، ملف خاص، جريدة الأهرام المصرية.
- ٥ - عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطن)، موقع الهيئة المصرية للاستعلامات.